شاعرة سورية تكتب في المهجر عن أحزان الوطن ومعاناة البائسين

إباء إسماعيل: أعتزل العالم فتأتيني القصيدة.. لأصبح موجة

ملاك الشعـر يقودنا للحكمة وليس لخراب الروح.. لبناء الإنسـان وليس لهدم وجوده

القاهرة - السيد حسين:

تؤكد الشاعرة السورية المقيمة بالولايات المتحدة إباء إسماعيل أن في الشعر العربي ما يتفوق على الشعر العالمي وأن اللغة العربية ملكة لغات الشعر والشعراء وتتفوق في شاعريتها على الإنكليزية، وان الأدب العربي حقق وجوده عالمياً لكن ليس بالحجم والقدر الذي يستحقّه. لأنه يتحقق عبر الترجمة من العربية وإلى لغات العالم وهذا قليل جداً إذا ما قورنَ بالأدب العالمي المُترجَم إلى العربية، التفاصيل في الحوار التالي:

● كيف كان تأثير الغربة عليك؟

■ في السنوات الأولى، كان المَخاضُ صَعْباً، والصدْمَةُ الحَضارية التي عشتُها وأنا في منتصف العشرينات حين وطأتْ قدماي القارة الأميركية، أثّرت بشكل سلبي عليّ في البداية، وابتعادي عن الأجواء الأدبية الخصبة التي كنتُ أقطف ثمارها في وطني الحبيب سورية، لكنني سرعان ما بدأت أحسم أمري بإيجاد البدائل من متابعة الدراسة والاستمرار في الابداع وتطوير قلمي، بالتأكيد ما خفف وطأة الغربة عليّ زوجي الذي كان يدرس الدكتوراة في الهندسة المدنية آنذاك.عشت لسنوات طويلة حالة ضياع حين كان التواصل من دون انترنت صعباً، وهذا دفعني للنشر في الولايات المتحدة وإيجاد مَخْرَج بمجموعات أدبية صغيرة أتواصل عبرها مع أدباء عرب.

● صدر لك ديوان"خيول الضوء والغربة،"أغنيات الروح"،اشتعالات مغتربة"،صحَوة النار والياسمين" وغيرها، حدثينا عنها؟

■ كلها قريبة إلى قلبي واقربها دائماً الصادر حديثاً أو الذي هو قيد الطبع، ولكل ديوان ظروفه وطقوسه الخاصة بالطبع. ديوان "خيول الضوء والغربة" مثلاً كَتَبتُ أكثر من نصف قصائده وأنا أقيم في الوطن الأم - سورية - وكنتُ طالبة في الأدب الإنكليزي - معظمها نُشر في الصحافة السورية- ويدخل في نطاق قصيدة النثر. لم أكُن قد تعلمتُ كتابه الشعر الموزون بعد ولكن كان في ذهني ما تعلمته في المرحلة الثانوية من بحور الشعر في دروس العَروض ولم أفكر حينها الكتابة على البحور، ولكنني قرأت بعدها الكثير، فشعرتُ بأن عليّ تعلُمه لامتلاك أدواتي الشعرية. واستهوتني الكتابة على شعر التفعيلة لأنها الأقدر برأيي على استيعاب القصيدة الحداثيّة بما تمنحه من حرية للشاعر في تشكيل الأسطر الشعرية ضمن التفعيلة الواحدة مع الحفاظ على إيقاع وموسيقى الشعر الأصيل بما يحمل من جماليات. لم يكن الأمر سهلاً وكان عليّ استشارة بعض الشعراء الكبار الذين سبقوني في هذا المضمار وأفادتني آراؤهم وتشجيعهم كثيراً. وكان من نتاج هذه التجارب إصدار ديواني الثاني "اغنيات الروح" الذي يحمل روح الشباب الثائر على الصعيد الوطني والوجداني أيضاً. ومع كل ديوان جديد يصدر، أكتشفُ في ذاتي الشاعرة شيئاً جديداً وتحدياً جديداً ثيمة الغربة تأخذ حيزاً واضحاً من تجربتي الشعرية ولكنها لا تقف عندها وحدها واستهوتني المراوحة بين قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة في دواويني الشعرية جميعها لكنني لم أخلط بين الإثنين أبداً. حول ديوان "صحوة النار والياسمين"، فيه نبوءات حول ما يجري حالياً في وطني الحبيب سورية تحديداً وخاصةً في قصيدتي (شام، يا قصيدتي) و(عصفورةُ قاسيون) وحين كتابة تلك القصيدتين كنتُ أستغرب لماذا أكتب بهذه الروح وهذه المفردات التي لا تشبه الواقع الذي كنتُ أعيشه قبل سنوات الحرب؟

إباء إسماعيل

القارئ مرآة الذات

● أسلوبك بالشعر يتميز بك ويرسم شخصيتك بشكل بحت فمن القارئ الذي تحبين مخاطبته؟

■ القارئ مرآة ذاتي، وأحرفي مرآة ذات القارئ. نحن نتماهى في الابداع معاً، لأنّ الشعر ينبثق عن شرارة في الروح، تكبر لتملأ فراغ الصفحات البيضاء ويصبح هو السّيد على اللغة وعلى المبدع، لكن التراكُم المعرفي والثقافي لدى المبدع وامتلاكه لأدواته الشعرية هو الذي يتحكّم في النهاية بجَودة العمل الشعري محاولاً إيصاله إلى درجة الكمال.

● كيف تتشكل القصيدة لديك هل هي انفعال أمْ عزلة وانكسار أم مجرد لحظة صفاء؟

■ من طقوس كتابتي للشعر، أنْ أكون في حالة عُزلة عن العالَم الخارجي لأدخُلَ في عوالي الشعرية الجوّانية. مُتقلبة كالموج أو الريح أو العاصفة.

● ما الذي يمكن أن يهرب منه المبدع العربي فى سؤال الهوية من وجهة نظرك؟

■ ليست قضية هروب من سؤال الهوية، بل رؤيته لمفهوم الهوية وثقافته العميقة هي التي ترفضه، لأن رؤيته تتجاوَز كل الحدود الضيقة التي فرَضتها السياسات العالمية لتقزيم وجود الانسان العربي.

الإبداع

● هل يمكن الحديث في الإبداع عن فرق نوعي بين المرأة والرجل؟ ألا يرتبط الإبداع بالإنسان بغض النظر عن جنسه؟

■ أكيد لا فرق نوعي بين المرأة والرجل من حيث الابداع. صحيح أن المبدع (ة) إنسان سواءً كانَ رجلاً أم امرأة، وأي فروق أو حدود بينهما هي مُصْطَنعة اوجدها المجتمع وعلى المرأة المبدعة ألا تكرس هذه الفروق، بل أن تكون واعية وصامدة لمواجهتها بالاشتغال على ابداعها وجودة قلمها.

● ما الذي تفتقده المبدعة في مَجتمعاتنا؟

■ تفتقد في بداية مشوارها الإبداعي التوجيه الصحيح والهادف والنقد البناء قبل المديح والثناء، تفتقد المثابرة والتثقيف الذاتي لتطوير الذات الإبداعية من الداخل قبل الظهور على السطح واستعجال الشهرة التي تسيء إليها في فترة ما قبل اكتمال نضوج التجربة الابداعية. وهذا بالضبط ما يفتقده أي مبدع ناشئ أيضاً.

● هناك من يتهم قصيدة النثر بأنها مجرد خواطر شخصية ولا ترقى لمستوى القصيدة العمودية، فما تعليقك؟ وكيف لكِ بالجمع بين قصيدة النثر والتفعيلة؟

■ هناكَ مَن يتعصّب للقصيدة العمودية ولا يريد أن يرى غيرها أو بعدَها وهناكَ مَن يتعصب لقصيدة النثر ولا يرى قبلها. ويبقى النص الابداعي الجيد في رأيي هو سيد الموقف والحكم على جودة الإبداع، والمبدع سواءً كان لقصيدة نثر أو لقصيدة تفعيلة أو عمودية،المهم أن يكون شاعراً متمكناً من أدواته الشعرية واللغوية. حول تجربتي في الجَمع بين كتابتي لقصيدتي النثر والتفعيلة أقول، إن كتابة قصيدة النثر لدي، طقوسها تختلف عن طقوس قصيدة التفعيلة.

● إلامَ يسعى الشاعر العربي في تجاوزه حدود الواقع في حداثته؟

■ فعلاً. تجاوزنا المدرسة "الواقعية" في الشعر والابداع، وهذا لا يعني الهروب من الواقع لرسم عوالم وهمية لا تمت إلى الابداع أو الواقع بصلة، بل لايجاد واقع جديد عبر النصوص الشعرية أي إيجاد المُعادل الموضوعي للواقع وليس نَسْخه كما هو. هذا لأن الشعر يُطوّر اللغة، يستشرف رؤى مستقبلية، ويفتح آفاق الإنسان إلى المستقبل يأخذه إلى ماضيه السحيق، إلى تراثه وثقافته وحضارته وأساطيره وإنجيله وقرآنه، يأخذه إلى وجود آخر غني تبرق فيه القيم الابداعية والثقافية والجَمالية.

● هل ترين أن الشعر مازال ديوان العرب؟

■ للشعر قراؤه وجمهوره، وللرواية قراؤها وجمهورها وقد يكونا واحداً حَين يكون الروائي شاعراً أيضاً أو الشاعر روائياً. وكذلك المسرح والسينما والفن التشكيلي. الإبداع حالة إنسانية ترقى بالمجتمعات ولا أرى بأنها تتنافس على هذا النمو، بل تتفاعل لتزيد قوة تأثرها، فكم من أعمال شعرية يدخل فيها المسرح كمسرح أمير الشعراء أحمد شوقي وشيكسبير، وكم عمل روائي تداخل فيه الشعر وكم من الشعراء والفنانين التشكيليين استوحوا نصوصهم ولوحاتهم من إبداعات بعضهم البعض.

● بمن تأثرت في كتاباتك الشعرية عربيا وعالميا؟ وهل انبهرت بالكتابات والحَضارة الغربية؟

■ أحتاج لصفحات لذكر الأسماء ولكن باختصار أقول إنني في بداياتي وبحكم دراستي للأدب الانكليزي والأميركي تأثرت بوالت ويتمان وإملي ديكنسون وت. اس. إليوت وجيمس جويس وغيرهم وقبلها تأثرت بطاغور وجبران ونزار قباني، المرحلة التي تليها قرأت للشعراء الأوربيين أمثال أراغو وبودلير وبول إلوار ورامبو، ووجدتُ أنّ تجربتي المعرفية غير ناضجة بالبعد عن التراث فشرعت بقراءة المتنبي وأبي العلاء المعري وابن زيدون وابن الفارض والحلاج وغيرهم من كبار الشعراء العرب. وطبعاً لشعراء الشعر الحديث قرأت معظمهم وبشكل خاص رواد الشعر الحديث، نازك الملائكة والسياب وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي، والقائمة لا تنتهي مع ما بعد الرواد بالعلامة الفارقة في الشعر العربي الحديث محمود درويش وأدونيس إلى شعراء جيلي وحتى الشعراء الشباب. هناك في الشعر العربي ما يتفوق على الشعر العالمي وأرى أن اللغة العربية ملكة لغات الشعر والشعراء وتتفوق في شاعريتها على اللغة الانكليزية مثلاً التي أرى أنها لغة علمية وأقل إيحاءً وشاعرية مقارنةً مع اللغة العربية.

● كيف ترين الأوضاع في سورية؟

■ أرى وطني الحبيب الجريح سورية بقعة دامية لا تنفصل عما يجري للعديد من الدول العربية والعالم وفق إرادات استعمارية شرسة ترسم وجهاً شيطانياً قبيحاً للمنطقة العربية لتغيير خارطتها الجيوسياسية، وتسعى بدايةً للانقضاض على البشر والحجر وتحطيم كل القيَم الانسانية والحضارية والتاريخية والدينية وفق مبدأ مُتوحش (فَرق تسُد)، لكنّ الشعوب العربية سواءً في سورية أو غيرها ستتحرّر بإرادتها وعزمها على دحر قوى الشر التي لا يمكن لها أن تدوم أو تصمد لأن بدائلها غير إنسانية، فمن يقبل أن يستبدل حياته بالموت، وحريته بالقيد، وعزة نفسه بالعبودية، وثقافته بالتخلّف وقيَمه الدينية السمحاء بالقتل والاجرام والتعذيب؟. لا أحد، لا أحد.

● الكثير من الشعراء تحولوا لكتابة الرواية لما لها من حضور عربي هل روادتك تلك الفكرة؟

■ أعترف بأنّ نداء الشعر في داخلي صارخ ويصل بي إلى النخاع، ويمنعني من الانشغال في كتابة الأعمال الروائية، بدأت في مطلع حياتي كاتبة للقصة القصيرة وكتبت عدداً من القصص ولم أنشرها، لكن الشعر كان أقوى بكثير، رغم أنني جربت كتابة فصول أكثر من رواية في الماضي وأهملتها لأنّ الشعر عشقي الوحيد الذي تجرفني نداءاته من دون توقف، هو يسرقني من كل شيء تقريباً، وهو السحر الذي ترفرف له روحي وتبعدني حتى عن نداءات كتابة العمود اليومي أو الاسبوعي على صفحات الجرائد، إلا فيما ندر، حسبي أن أكون شاعرة يرضى عنها السيد الشعر.

● ما العلاقة بين ذاكرتك وكتاباتك؟

■ كتاباتي مُتصالحة مع ذاكرتي ومُتفاعلة معها، لكنها لا تتوقف عندها، بل تتمردَ عليها في كثير من الأحيان، لتضيف عليها رونقَها ومُخيلتها الخاصة المشوبة بالصور والانفعالات.

● كثيرون هم النقاد الذين تعرضوا لأدب المرأة، ووضعوه في زاوية السيرة الذاتية، واعتبروا أن كل ما تكتبه المرأة جزء من سيرتها وحياتها، الا ترين في هذا الحكم انتقاصاً من قيمة إبداع المرأة وأدبها؟

■ مرةً أخرى أقول في قاعدة ثانية، حالة التعميم وإطلاق الأحكام العشوائية هو ليس من مواصفات النُقّاد. الناقد المَقيق الذي يتناول النص الإبداعي ويحلله بموضوعية ويتناول قيمته الأدبية والابداعية سواءً كان جزءاً من سيرة المبدع (ة) الذاتية أم لا. القضية الابداعية الأهم هي كيف استطاع المبدع أن يحول تجربته الانسانية أو تجربة الآخرين إلى نص إبداعي متميز. وإن لم يكتب المبدعون من حياتهم وتجاربهم الإنسانية، فمن أين سيبدعون؟ من الفراغ؟.

● هل هناك مناطق محظورة في شعرك؟

■ لأن الشعر حالة ارتقاء بالإنسان وليس تجريده من إنسانيته، أرفض الإسفاف بالشعر واستخدامه كوسيلة لأغراض دنيئة هذا محظور في شعري،ابتداء من اللفظة الى الفكرة الى الصورة الشعرية ملاك الشعر يقودنا للحكمة وليس لخراب الروح، لبناء الإنسان وليس لهدم وجوده وتحطيم أحلامه، الشعر يعانق الحياة والإنسان مهما كانت آلامه وخساراته وفلسفتي ألا نُسرف في تمجيد ثيمة الموت في شعرنا فهناك أطفال لم يولدوا بعد، ولهم القصيدة المقبلة.

● أما من قصيدة صدأت في درج مكتبك بعد أن صدأت في دواخلك؟

■ قد يكون للأسف أو لحسن الحظ أنْ حصَلَ هذا فعلاً ولعل القصائد التي وضعتُها في ملفات مُهملة من زوايا كومبيوتري، مؤشر إيجابي في الواقع، لأنني تجاوزتُ ذاتي وتعلمتُ طريقة نقد نصي بشكل موضوعي بالحكم عليه بعدم النشر لأنه يفتقر إلى قدرته على آيصال ما كنتُ أود إيصاله إبداعياً.

● كيف انتقلت للكتابة للأطفال؟

■ حتى في كتابتي للكبار، تتدفق ينابيع طفولتي في ثنايا القصائد، لأنني أحمل هذا النفَس الطفولي وهذا مهد طريقي لكتابة قصائد للأطفال، واكتشفَ فيَ وشجعني على ذلك بعض كتاب وشعراء الأطفال المعروفين.

● من السهل الكتابة للأطفال؟

■ أنْ تكتب بتلقائية مع ضبْط العمل الابداعي الموجه للطفل لغةً ومضموناً وخَيالاً هو أمر ليس بالسهل وبالتأكيد الكتابة للأطفال أكثر صعوبةً. هو فن تقمّص شخصية الطفل والكتابة بلسانها ويمكنك أن تغرف من طفولتك أيضاً إنْ شئت، وهذا بالضبط ما أفعله وأنا أتوجه في كتاباتي للطفل.

● ما جديدك؟

■ صدرت لتوها مجموعتي الشعرية الثامنة " صَوتي هديلُ وَطَن"، وتمت الطبع" دروبٌ مَضيئة" ديوان شعر للأطفال وأضع اللمسات الأخيرة على ديوان جديد سيصدر باللغة الإنكليزية.

الكويت

إهداء إلى العم فهد عبدالرحمن المعجل

خالد فهد المعجل

أرضُ الكويتِ جواهرٌ وسخاءُ
وكريمُها يرتادهُ الكرماءُ
وأميرُها من شعبها فكأنما
شعبُ الكويت جميعهم أمراءُ
ولإن مشيتَ بشرقها وبغربها
فمحبةٌ ومسرةٌ وصفاءُ
مأسورةٌ لوفائها وطليقةٌ
لمكارمٍ يربو بها الأبناءُ
أسميتُها قمرَ الجزيرةِ مادحاً
فتصاغرت في حسنها الأسماءُ
عربٌ إذا حلَّ الغريبُ بأرضهم
صاروا سواءً فاختفى الغرباءُ
لو أن بيتاً في العروبة هُدِّم
فبكلِّ بيتٍ في الكويت عزاءُ
فسلامُها سلمُ العروبةِ كلِها
وجراحُها للمسعفين دواءُ
هذي الكويتُ أبيةٌ لا تنحني
وكأنها من بيننا الجوزاءُ
من أرض كاظمةٍ وذات سلاسلٍ
خابت جحافلُ جندِها الأعداءُ
جندٌ كأن البعثَ أقبل وقتهُ
بادوا وهرمزُ قبرهُ الجهراءُ
وابنُ الوليد مزلزلٌ بحسامه
فتزلزلتْ بصليله الهيجاءُ
في أرضها الإيمانُ والجودُ الذي
قد فاض بالإحسانِ والآلاء
من أرض نجدٍ قد أتيتكِ مرسلاً
بالياسمين وأرضُها جرداءُ
فقطفتُ من قلب الجزيرة وردةً
لكِ ياكويتُ وعطرُها البيداءُ
أرضُ الجزيرةِ يا كويتُ وأنتما
كالنيرين توهُّجٌ وسناءُ
وشدوتُ يا أهلَ الكويت أتيتكم
بالأمنيات فغنَّت الفيحاءُ
فرأيتُ كلَّ الأمنيات تنيركمْ
ومن الضياء توارتِ الأنواءُ
وكتبتُ من وحي المحبة أحرفاً
في كلِّ حرفٍ مشعلٌ وضياءُ
قد خفتُ لما قُربتُ لبلادكمْ
أخطارُها وتعالتِ الشحناءُ
وتفرَّق الجمعُ الذي لم يفترقْ
أبداً وأنتم أسرةٌ وإخاءُ
لا يرتقي الرأيُ الوحيدُ بأمةٍ
مالم تكن تتعدد الآراءُ
والجهلُ في حبِّ البلاد جهالةٌ
والحبُّ من أعدائه الجهلاءُ
أوتشعرون بشاعرٍ في صدرهِ
ألمُ الكويت فأنتمُ الشعراءُ؟
ما كنتُ أمدح كي أزيدَ بقدركمْ
إن الكريمَ محله العلياءُ
فلإن مدحتُ فإن لي من بعضه
ولإن شكرتمْ فالشعورُ سواءُ
قد كنتُ أكتب للحسان تغزلاً
والآن أنتِ القبلةُ الحسناء

صادر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

أحياء ما قبل التاريخ في كتاب الحياة

■ في 512 صفحة يستعرض المجلد المدهش "كتاب الحياة.. الدليل إلى كل ما يعيش على كوكبنا" الصادر عن مجموعة "مايلز كيلي" للنشر المحدودة، الحياة على وسعها على كوكبنا، ليستكشف القارئ عالم أحياء ما قبل التاريخ، والنباتات والديناصورات، والبرمائيات، والزواحف والعنكبوتيات، والطيور، والثدييات، والأحياء البحرية والنهرية، وجسم الإنسان.

في هذا المجلد الصادر في نسخته العربية عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، تفاصيل مكثفة تسبح بنا في فضاءات وحقبات زمنية متباينة تمتد لملايين السنين، تبدأ بحقبة ما قبل التاريخ والحيوانات والنباتات التي عاشت على الأرض في تلك الحقب السحيقة من الزمن معززاً المعلومات العلمية برسومات وصور للحفريات وأخرى تخيلية للشكل الذي كانت عليه تلك الكائنات.

ويقدم الكتاب في سياق تسلسلي معلومات مذهلة تجعل هذا الماضي ماثلاً أمام القارئ بما يثري حركة الخيال والتصور الذهني، حيث تبدأ الرحلة من النباتات إلى الحياة المائية والكائنات وحيدة الخلية، مروراً بالحشرات واللافقاريات الأخرى، ثم الزواحف والبرمائيات، فالطيور، حتى ظهور الثدييات التي يعد الإنسان الكائن الأكثر تطوراً على رأس مملكتها.

ولا يتوقف الكتاب عن تسليط الضوء على المعلومات الطريفة والفريدة في فلاشات سريعة مكثفة يكسر بها ما قد يصيب القارئ من إرهاق أو تشتت خلال رحلة القراءة الطويلة، فجاءت تلك المعلومات كما لو كانت محطات للاستراحة يلتقط فيها القارئ أنفاسه ويتغذى على تلك المعلومات ليعيد شحن بطارية افكاره لمواصلة مسيرة القراءة الشيقة.

ومن تلك الومضات العلمية الطريفة ما ذكره الكتاب حول ذكر ضفدع "دارون" الذي يبتلع البيض ويبقيه في حلقه إلى أن يفقس وتخرج الصغار من فمه، ومن يشاهد تلك العملية يعتقد أن الصغار تتوالد من فم الضفدع.

ويستعرض الكتاب معلومات قياسية من حيث عدد بيض الضفادع حيث تعد الضفادع الكوبية صغيرة الحجم الأقل انتاجاً إذ تضع مجرد بيضة واحدة في حين تضع انثى ضفدع "علجوم القصب" نحو 50 ألف بيضة في الحضنة الواحدة.

ويحظى الفصل الخاص بمملكة الطيور بمعلومات هائلة حول الأنواع المختلفة والأحجام وأماكن معيشتها في الصحاري والأنهار والبحيرات والغابات، وكيفية تطورها على مدار التاريخ.

ويستعرض الفصل الخاص بجسم الإنسان معلومات مذهلة، لم تترك جزءاً أو عضواً إلا وقدمت عنه ومضة فريدة، منها على سبيل المثال ما يتعلق بنمو شعر فروة الرأس حيث يستغرق نمو الشعرة خمس سنوات قبل أن تسقط وتستبدل، وإذا ما تركت من دون قص خلال تلك الفترة يبلغ طولها مترا واحد، وإن كان لدى بعض الناس شعر غير عادي ينمو أسرع وأطول وقد يبلغ طوله أربعة أمتار قبل أن يسقط.

ومن تلك المعلومات أيضاً ما يتعلق بالأظافر التي تنمو بمعدل نصف مليمتر كل أسبوع، كما تنمو أظافر اليد الأقوى أسرع قليلاً، فإذا كان المرء أعسر نمت أظافر يده اليسرى أسرع من اليمنى.

وفي الكتاب نتعرف على الديناصورات الشرسة والدببة التي تعيش بلا طعام لثمانية أشهر، والحيات التي تطير، والنباتات الشريطية الخانقة، والديدان التي ينمو طولها إلى 40 متراً.

الكتاب للمؤلف مايلز كيلي وترجمة رندة فرحات والمراجع العلمي د. شيخة الذربان والناشر مجموعة "مايلز كيلي" المحدودة.

غلاف الكتاب